الآيات المتشابهة في اللفظ
في سورة فصلت - دراسة وتوجيه -

Verses similar in wording in surah Fussilat

Study and Guidance

الدكتور محمد جمعة العمراني

Dr. Mohammed Juma Alemrany

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

جامعة تبوك - الكلية الجامعية بحقل

البريد الإلكتروني: M_alomrani@ut.edu.sa

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 3 | العدد 41
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.3 | Issue 41
ISSN: 2225-9732

December 2025

مستخلص

يتناول هذا البحث دراسة المتشابه اللفظي في سورة فصلت، حيث يسلط الضوء على بيان معنى المتشابه اللفظي في اللغة والاصطلاح، وذكر أهميته، وأبرز الفوائد المكتسبة من دراسته، والتعريف الموجز بسورة فصلت، والوقوف على مواضع الآيات المتشابهة في اللفظ فيها، والقيام بدراستها وتوجيهها، من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، وكتب المتشابه اللفظي، والاستفادة من توجيهات أصحابها.

واستخدم الباحث في هذا البحث، منهج الوصف، والاستقراء، والاستنباط، والتحليل.

وخلص الباحث إلى عدة نتائج مختلفة، منها: أن سورة فصلت اشتملت على مجموعة من الآيات المتشابهة في اللفظ، حيث وقفت من خلال هذا البحث، على أحد عشر موضعاً، وأن للسياق القرآني دوراً بارزاً ومهماً، في فهم الآيات المتشابه في اللفظ، وفي معرفة الفروق بين تلك الآيات للوصول إلى توجيه سليم لها، وأنه قد تعددت أراء العلماء واختلفت، في سبب زيادة كلمة «ما» في قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) فمنهم من قال: إنها أتت لتوكيد معنى الشرط، ومنهم من قال: إنها أتت لإرادة تحقيق جزاء الشرط، ومنهم من قال: إنها زيدت لما بنيت عليه الآية الكريمة من الإطناب والاستيفاء، والوقوف على العديد من آيات المتشابه اللفظي في السورة -موضع الدراسة-التي لم يشر إليها أو ترك الحديث عنها أئمة التفسير وعلماء المتشابه اللفظي -بحسب ما وقفت عليه-بينما تطرق لها بعض أصحاب كتب البلاغة القرآنية وغيرها، ومنها على سبيل المثال: سر التعبير بقوله:(وَنَجَّيْنَا) خالية من «الألف» من سورة فصلت، وفي الآية الثانية بـ(وَأَنجَيْنَا) بإثبات «الألف» من سورة النمل، وغيرها من المواضع.

الكلمات المفتاحية: المتشابه في اللفظ، الاختلاف، فصلت، السياق القرآني.

Abstract:

This research examines the phenomenon of verbal similarity (Al-Mutashabih Al-Lafzhi) in Surah Fussilat, shedding light on the meaning of verbal similarity in both linguistic and technical terms. It discusses its importance and the key benefits of studying it, provides a brief introduction to Surah Fussilat, identifies the locations of similar-sounding verses within the surah, and investigates and interprets them by referencing classical tafsir (exegesis) books, as well as works on verbal similarities, benefiting from the insights of their authors.

The researcher concludes with several findings, including: that Surah Fussilat contains a number of verses with similar wording, with this study identifying eleven specific instances. Furthermore, the context of the Qur'anic verses plays a significant and crucial role in understanding verbal similarities, discerning the differences between them, and achieving correct interpretation. The research also notes the various opinions of scholars regarding the use of the word «ما» in the verse (Hata etha ma jawoha,(where some scholars argued that it was used to emphasize the condition, while others believed it was used to affirm the fulfillment of the condition's consequence. Another view suggested its inclusion was for rhetorical purposes, to add emphasis and completion to the verse. The study also identifies several instances of verbal similarity in the surah that were not addressed by classical tafsir scholars or authors of works on verbal similarities, but were discussed by scholars of Qur'anic rhetoric and other disciplines. For example, the peculiar use of the word(wanjenah) without the "alif" in Surah Fussilat, in contrast to the form (wa-anjina) with the "alif" in Surah An-Naml, among other instances.

Keywords: Verbal Similarity, Differences, Fussilat, Qur'anic Contex

المقدمة

الحمد لله وكفى، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى، الذي بعثه الله رحمة وهدى، وامتن به على عباده الموحدين فقال: (لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ) (فصلت:١٦٤)، أما بعد:

فإن من العلوم القرآنية التي نالت اهتماماً بالغاً، وحظيت على استحسان أهل العلم والمعرفة، في العصور القديمة والحديثة، علم المتشابه اللفظي في كتاب الله، وذلك لما لهذا العلم العظيم من القدرة الفائقة على إظهار إعجاز الكتاب العزيز وإبرازه، ولما له من اهتمام بالغ وعناية فائقة، في الذب عن حياض الدين والرد على شبهات المشككين، والقادحين في نزاهة الكتاب المبين، الذين يستغلون هذه المسألة -مسألة المتشابه- في الطعن في أحكام الشريعة، متناسين أن هذه المسألة، تثبت إعجاز القرآن الكريم البياني، وأنه نزل بلسان عربي مبين، من لدن عزيز حكيم.

ولما كانت السورة الكريمة، سورة فصلت، من سور القرآن التي احتوت على مجموعة من آيات المتشابه اللفظي، عزمت -بعد توفيق الله تعالى-على دراسة تلك الآيات، والوقوف على المواضع المختلفة للآيات المتشابهة في اللفظ التي ذكرت فيها، وقد أسميت هذا البحث: (الآيات المتشابهة في اللفظ في سورة فصلت دراسة وتوجيه).

أهمية البحث:

١- أنه مرتبط بأجل الكتب وأعظمها، وهو القرآن، وبأحسن العلوم وأكملها، مما جعل لها من الأهمية ما ليس لغيرها.

٢- أنه يوضح جانباً مهماً من جوانب إعجاز القرآن البياني ويبرزه، ولو لم يكن إلا ذلك لكفى.

٣- أنه يبين أن للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم دوراً مهماً، وأثراً واضحاً في فهم المعنى، مما يزيد الرغبة في طلبه.

أهداف البحث:

١- معرفة الجهود المبذولة من قبل علماء التفسير، والمتشابه اللفظي، في دراسة الآيات المتشابهة في سورة فصلت، والقدرة على توجيهها.

٢- بيان المراد بالمتشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على أهميته، وفوائده.

٣- استخراج آيات المتشابه اللفظي من سورة فصلت، والعمل على دراسة هذه الآيات وتوجيهها.

٤- الوقوف على آيات المتشابه اللفظي في سورة فصلت، التي ترك الحديث عنها أئمة التفسير، وعلماء المتشابه، وإظهارها.

٥- إبراز إعجاز القرآن البياني من خلال الوقوف على الآيات المتشابهة ودراستها.

أسباب اختيار الموضوع

١- خدمة القرآن الكريم من خلال دراسة آيات المتشابه اللفظي، في سورة فصلت دراسة علمية؛ لوجود الحاجة الملحة لذلك.

٢- اشتمال سورة فصلت على العديد من المواضع، التي ورد فيها التشابه اللفظي بين آياتها، مما يستدعي دراستها دراسة علمية منهجية.

٣- ترك علماء التفسير، والمتشابه اللفظي، دراسة بعض الآيات المتشابهة في اللفظ الواردة في سورة فصلت، وتوجيهها.

الدراسات السابقة:

لم أجد أحداً من الباحثين من أفرد موضوع دراستي بالبحث، وغاية ما وجدته من الدراسات أو البحوث السابقة ما يلي:

١- (آيات المتشابه اللفظي في سورة الزمر)، دراسة وتوجيهاً، للباحث محمد جمعة العمراني، بحث محكم، مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب، جامعة تكريت، عدد:٥٤، ٢٠٢٣م، ويتضح من عنوان هذا البحث أنه يدرس الآيات المتشابهة في اللفظ في سورة الزمر، بينما بحثي يدرس الآيات المتشابهة في سورة فصلت، فالاختلاف واضح بين الدراستين.

٢- (المتشابه اللفظي في سورة النساء)، فاطمة الجاسر، بحث محكم، مجله العلوم، عدد:

١٣٨، ٢٠٢٢م، ويتبين من عنوان هذ البحث أنه يدرس (المتشابه اللفظي في سورة النساء)، فالاختلاف واضح بين دراستي وهذه الدراسة.

٣- (بلاغة المتشابه اللفظي في سورة التوبة)، ريم القحيز، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية اللغة العربية،١٤٢٩هـ، والذي يتبين من موضوع هذه الرسالة، أنها تختلف عن موضوع بحثي هذا من جانبين: الجانب الأول: أنها دراسة في علم البلاغة، ثانياً: أنها في سورة التوبة، فالاختلاف واضح ظاهر.

منهج البحث

اعتمد الباحث في بحثه على منهج الوصف، والاستقراء، والاستنباط، والتحليل.

خطة البحث

جاء تقسيم هذا البحث بعد المقدمة في ثلاثة مباحث مقسمة كالآتي:

-المبحث الأول: التعريف بالمتشابه اللفظي، وأهميته، وأبرز فوائده، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه اللفظي.

المطلب الثاني: أهمية المتشابه اللفظي، وأبرز فوائده.

-المبحث الثاني: التعريف الموجز بسورة (فصلت)، ويشتمل على الآتي:

أولاً: أسماء السورة.

ثانياً: مكان نزول السورة، وترتيبها في النزول، وعدد آياتها.

ثالثاً: سبب نزول السورة.

رابعاً: مقاصد السورة، وأغراضها.

-المبحث الثالث: دراسة الآيات المتشابه في اللفظ في سورة فصلت وتوجيهها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

فهرس المراجع.

المبحث الأول: التعريف بالمتشابه اللفظي، وأهميته، وأبرز فوائده، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالمتشابه اللفظي.

أولاً: المتشابه اللفظي لغة:

مركب وصفي، يتألف من كلمتين: الكلمة الأولى: المتشابه ولها معنيان:

فتأتي بمعنى: التساوي، والتماثل [١]، وتأتي بمعنى: الخلط، والالتباس، والإشكال [٢]، يقول الإمام ابن فارس -رحمه الله-: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال: شِبْه وشَبَه وشبيه»[٣]، وأما الكلمة الثانية: فهي كلمة اللفظي: فهي كلمة تطلق ويراد بها الكلام، يقال: تلفظ بكلمة كذا أي: تكلم بها [٤].

وذكر ابن فارس -رحمه الله-أنها تأتي بمعنى طرح الشيء فقال: اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة، تدل على طرح الشيء، وغالباً ذلك أن يكون من الفم [٥].

ثانياً: المتشابه اللفظي في الاصطلاح:

تعددت تعريفات المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وتنوعت بين أهل العلم والمعرفة له، وللاختصار وعدم الاطالة، سأكتفي بذكر أقرب التعريفات وأبرزها، فعرفه الإمام الكرماني بقوله: «هو الآيات المتشابهة التي تكررت في القرآن، وألفاظها متفقه، ولكن وقع في بعضها زيادة، أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك، مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي من غير زيادة ولا نقصان [٦]

بينما عرفه الإمام الزركشي -رحمه الله-بتعريف أخر أخص وأوجز، فقال: «هو إيراد القصة

(١) الجوهري، «الصحاح» ٦:٢٣٦، وابن منظور، محمد بن مكرم بن على «لسان العرب»، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ) ٥٠٣:١٣.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة» ٩٨٦.

(٤) محمد بن أبي بكر الرازي، «مختار الصحاح»، تحقيق: يوسف محمد (ط٥، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ) ٦٠١، ومحمود بن عمرو الزمخشري، «أساس البلاغة» تحقيق: محمد باسل (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ) ٥٦٨.

(٥) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة» ٣:٢٤٣.

(٦) محمود بن حمزة الكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» تحقيق: عبد القادر عطا (ط١، دار الفضيلة، ١٤٠٩هـ) ١:٦٣.

الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء»[1]، وأيده الكفوي -رحمه الله-على هذا التعريف، إلا أنه أضاف عليه بيان وإيضاح مواضع تلك الفواصل المختلفة فقال: «وتكون في التقديم والتأخير، والزيادة والترك، والتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، وتبديل حرف بحرف»[2].

وقد يتبادر إلى أذهان البعض، أن الزركشي-رحمه الله- عندما عرف المتشابه اللفظي، جعله محصوراً في القصة القرآنية فقط، بدليل قوله في نهاية تعريفه له «ويكثر في إيراد القصص والأنباء»[3]، فكلمة «يكثر» في التعريف تنفي الحصر المتوقع فهمه، وأن المعنى أن إيراده في القصص والأنباء يكون كثيراً فيهما، فكلامه -رحمه الله- واضح في عدم إرادة الحصر.

وبعد المناقشة لمجموع هذه التعريفات، والتأمل فيها، توصل الباحث -بعد توفيق الله تعالى- إلى تعريف للمتشابه اللفظي أظن أنه تعريف جامع مانع، يحيط بالتعريفات المختلفة للمتشابه، وشامل لجميع المكرر، في القصص أو في غيرها، فأقول: المتشابه اللفظي: هو تلك الآيات القرآنية المتماثلة في موضوع واحد، لفظاً أو مع اختلاف في نظمها.

المطلب الثاني: أهمية المتشابه اللفظي، وأبرز فوائده.

أولاً: أهمية المتشابه اللفظي:

١- أن للمتشابه اللفظي أهمية كبرى تعود إلى نشأته، حيث أُنشأ؛ لهدف شريف وغاية نبيلة ومقصد عظيم، وهي الحفاظ على القرآن الكريم من وقوع اللحن في كلماته، وتسهيلاً للحفاظ له في حفظه واتقانه.

٢- اتصال علم المتشابه اللفظي، بمجموعة كبيرة من العلوم المتنوعة منها: علم التفسير، واللغة، والبلاغة، مما يدل على تعدد فروع هذا العلم وكثرته.

(١) محمد بن عبد الله الزركشي، «البرهان في علوم القرآن»، تحقيق: محمد إبراهيم (ط١، دمشق، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ) ١:٢٠٧.

(٢) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، «الكليات»، تحقيق: عدنان درويش (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ) ص٨٤٥.

(٣) الزركشي، «البرهان في علوم القرآن»، ١:٢٠٧.

٣- أن لعلم المتشابه اللفظي شرفًا عظيمًا، يرجع لشرف موضوعه، وهي آيات القرآن الكريم، حيث يبحث في أسرار المتشابه منه وفي علله.

٤- أن البحث في المتشابه اللفظي ودراسته، يتيح للباحث فيها الرجوع إلى العديد من المراجع والمصادر المتنوعة من كتب المتشابه اللفظي، والتفسير، وعلوم القرآن، وإعجاز القرآن، وبلاغته.

٥- إظهار مجموعة من الأسرار البيانية والفوائد البلاغية، في النظم القرآني الكريم.

٦- الوقوف على شبهات المشككين في القرآن الكريم، الطاعنين في آياته المتشابهة؛ لتفنيدها، والرد عليها بكل ثقة.

فوائد المتشابه اللفظي:

ثانياً:

١- البركة التي يُمنحها العبد، من خلال النظر في كتاب الله عامة، وفي آيات المتشابه اللفظي خاصة، وذلك من خلال مدارسة علله وأسراره ودقائق معانيه.

٢- القوة العلمية التي يحملها هذا العلم، حيث تُوصِلُ المتأمل فيها إلى مرحلة التدبر التي أمر بها المولى-سبحانه وتعالى-في كتابه الكريم فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤).

٣- الخدمة العظيمة التي يقدمها علم المتشابه اللفظي لحفاظ كتاب الله -تبارك وتعالى- وذلك من خلال مساعدتهم في ضبط المتشابه منه، وصيانة ألسنتهم من الوقوع في الخطأ والزلل.

٤- أن هذا العلم، يعطي المتبحر فيه، الدربة الفائقة، والدراية العميقة، في تلمس دقائق القرآن الكريم، وخفاياه، لأن المتلمس لهذه الدقائق والأسرار، يحتاج إلى عمل دؤوب، وصبر جميل، ليصل إلى مبتغاه.

٥- إثبات أن القرآن الكريم معجزة من معجزات الله الخالدة، فالمتأمل في أسرار الآيات المتشابهة في اللفظ، يدرك تماماً، أنه كتاب نزل به الروح الأمين، على النبي الكريم من رب العالمين.

٦- أن هذا العلم، فيه إثبات صدق نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-ورسالته، يظهر ذلك جلياً من خلال الصور البلاغية المتعددة التي تظهر في ثناياه، مع أنه -عليه الصلاة والسلام-لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

المبحث الثاني: التعريف بسورة(فصلت):

أولاً: أسماء السورة: اشتهرت سورة فصلت، من العهد النبوي الكريم باسم سورة (حم السجدة)(١)، فعن خليل بن مرة: «أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان لا ينام حتى يقرأ تبارك، وحم السجد»(٢)، وتميزت هذه السورة عن أخواتها -سور الحواميم-لاشتمالها على آية سجدة، كما سميت بسورة (فصلت) واشتهرت به في معظم التفاسير، لورود كلمة (فصلت) في بداية السورة، وقد ورد لها أسماء أخرى في بعض التفاسير، فسميت بسورة (المصابيح)، لقوله -عز وجل- (وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ (فصلت:١٢)، كما سميت أيضاً بسورة (الأقوات) لقوله -عز وجل-(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾) (فصلت:١٠)(٣).

ثانياً: مكان نزول السورة، وترتيبها في النزول، وعدد آياتها.

هذه السورة الكريمة مكية بالاتفاق (٤)، ونقل الإمام ابن عطية إجماع المفسرين على ذلك (٥).

وأما بالنسبة لترتيب نزول السورة، فهي الحادية والستون في الترتيب، حيث نزلت بعد سورة غافر، وقبل سورة الزخرف، وأما بالنسبة لعدد آياتها، فيتفاوت ذلك بحسب الجهة أو المكان، فعند المدنيين والمكيين ثلاثاً وخمسين، وعند الشاميين والبصريين اثنتين وخمسين آية، وعند الكوفيين أربعاً وخمسين (٦).

ثالثاً: سبب نزول السورة: من خلال البحث والتنقيب، في الكثير من المراجع المختلفة والمصادر المتعددة لأسباب النزول، وكتب التفسير، لم أقف على مصدر من هذه المصادر ذكر أن لهذه السورة سبباً خاصاً لنزولها، إلا ما ذكره بعض المفسرين من خبر قصة حوار عتبة بن

(١) ابن عاشور محمد الطاهر، «التحرير والتنوير». (الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م)، ٢٤: ٢٢٧. وحسنه الألباني، السلسلة الصحيحة، ص٦٤١

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، «شعب الإيمان». تحقيق: د. عبد العلي حامد، (ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ)، كتاب فضائل السور والآيات، باب ذكر الخواتيم، أخرجه البيهقي بإسناد منقطع، وحكم عليه في الموسوعة الحديثية بأن إسناده ضعيف.

(٣) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٤: ٢٢٧.

(٤) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٤: ٢٢٧.

(٥) ابن عطية، عبد الحق بن غالب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ،) ٤:٥١٧.

(٦) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢٤: ٢٢٨.

ربيعة، مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وقراءته -عليه الصلاة والسلام-مطلع سورة فصلت على عتبة[1]، فلا يعد هذا -من وجهة نظري-أنه سببٌ لنزول هذه السورة، وإنما ذكره المفسرون لبيان وقت نزولها وإثبات أنها نزلت بمكة، ولم ينص أحد منهم على أن هذه الحادثة هي سبب لنزول السورة الكريمة، والذي توصلت إليه ويعضده الدليل أن هذه السورة -سورة فصلت-نزلت آياتها متفرقة، فاختلفت وتعددت أسباب النزول تبعاً للآية، حيث ذكر الشيخ الوادعي -رحمه الله-، أن آية واحدة فقط لها سبب نزول صحيح في هذه السورة وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت: ٢٢)[2]، بينما ذكر صاحب كتاب (الصحيح من أسباب النزول) أن السورة اشتملت على آيتين لهما أسباب نزول صحيحة، الأولى: الآية سابقة الذكر، والثانية: قوله تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾) (فصلت: ٢٢)[3].

رابعاً: مقاصد السورة، وأغراضها.

اهتمت السورة الكريمة -سورة فصلت-بمعالجة القضايا العقدية -كغيرها من السور المكية-؛ واستقت مقاصدها العظيمة، من مقاصد الكتاب العزيز، فهي سورة وضحت أهمية القرآن وإعجازه والطرق المثلى للدعوة إلى الله وبينت أخلاق الداعية، وغيرها من المقاصد الكثيرة التي من الممكن أن أجملها في نقاط، خشية الإطالة، وهي كما يلي:

١- التنويه بفضل القرآن الكريم، وإبراز خصائصه، وصلاحيته، وإظهار عدم مقدرة المشركين عن معارضته وعجزهم عن ذلك، قال تعالى:(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ) (فصلت: ٤١).

٢- إبطال مزاعم المشككين في القرآن الكريم المخالفين له الطاعنين في مصداقيته. قال تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، «دلائل النبوة». تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله، أخرجه البيهقي بإسناد منقطع، وحكم عليه في الموسوعة الحديثية بأن إسناده ضعيف.

(٢) الوادعي، مقبل بن هادي، «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ط٤، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ) ١:١٧٧.

(٣) الحميدان، عصام بن عبد المحسن، «الصحيح من أسباب النزول» (ط٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ) ١:١٧٧.

وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾) (فصلت: ٤٤).

٣- إيضاح حقيقة الإله الحق، وبيان الأدلة الدالة على تفرده -سبحانه وتعالى-بالإلهية، وقدرته على البعث، وصدق القرآن العظيم، وصدق رسالة النبي الكريم-صلى الله عليه وسلم-ونبوته، حيث يتضح ذلك جلياً من خلال النظر في آيات السورة الكريمة التي تطرقت لذكر الآيات المنظورة في الكون، قال تعالى: (قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)

٤- إنذار الصادين عن القرآن الكريم المعرضين عن هداياته، وذلك بتذكيرهم بما حل بالأمم البائدة من عذاب الدنيا كقوم عاد وثمود، وأن ذلك يعتبر من باب الإنذار لكل مكابر معاند للحق، قال تعالى: (فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾) (فصلت: ١٣).

٥- وضحت السورة الكريمة الأداب التي ينبغي للداعية أن يتحلى بها في دعوته إلى الله، وكيفية مدافعة غير المؤمنين بالتي هي أحسن، ولزوم الصبر على الغلظة الصادرة منهم والجفاء الحاصل، قال تعالى: (وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) (فصلت: ١٣)، وما بعدها من الآيات الدالة على تلك الأداب.

٦- اشتملت السورة الكريمة على تبشير المؤمنين، وإدخال الأنس على قلوبهم، وحثهم على تحمل كل ما يقعبهم من أذى أو ابتلاء، وأن كل ذلك يهون أمام ما أعده المولى -تبارك وتعالى- لعباده المؤمنين من نعيم مقيم في جنات النعيم[1].

المبحث الثالث: دراسة آيات المتشابه اللفظي في سورة فصلت وتوجيهها.

يعتبر هذا المبحث، صلب هذه الدراسة وأصلها، حيث يسلط الضوء على الجانب التطبيقي العملي لهذه الدراسة.

ولقد تناولت في هذا المبحث، الآيات المتشابهة حسب ترتيبها في السورة، وهو المنهج الذي سار عليه علماء المتشابه اللفظي، وجعلتها على هيئة مواضع، وهي كالتالي:

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، «مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور». (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ)، ٣: ١٥٧؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤: ٢٨٨، الزحيلي، د. وهبه مصطفى، «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». (ط٢، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ) ٢٤: ١٨٠.

الموضع الأول: قوله تعالى: (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾) (فصلت: ٩-١٢).

وقال في الآية الثانية: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾) (الأعراف: ٥٤).

قبل الخوض في الحديث عن محور الخلاف، بين آية سورة فصلت وغيرها من الآيات الواردة في سور القرآن المختلفة، أود أن أنبه إلى أنه ورد تركيب جملة (ستة أيام) في سبعة مواضع من القرآن الكريم، وهي (الأعراف: ٥٤، يونس:٣، هود: ٧، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، ق: ٣٨، الحديد: ٤).

محور الخلاف

إن ظاهر الآيات الكريمة من سورة فصلت، يوضح أن خلق السماوات والأرض كان في ثمانية أيام، وأن الآيات الأخرى من سور القرآن المختلفة، توضح -بصراحة اللفظ-أن خلقهما كان في ستة أيام مما يلزم منه التناقض.

الجواب: أجاب المفسرون عن هذا الإشكال، بأن معنى قوله: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أي: «في تتمة أربعة أيام، فيكون لِخلق الأرض يومان، ولِخلق ما فيها من الجبال والأقوات والشجر والمياه وغيرها من عامر وغامر يومان، فتكون جملة الأيام أربعة أيام» [1].

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

أجاب كل من الإمام البيضاوي، وابن كثير، وابن عطية،-رحمهم الله-وغيرهم من المفسرين عن هذا الإشكال بأن قوله: (خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ) يعني باليومين: يوم الأحد ويوم الاثنين (وَجَعَلَ

(١) البيضاوي، عبد الله بن عمر، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، تحقيق محمد المرعشلي، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ)٥: ٦٧، والبغوي، الحسين بن مسعود،» معالم التنزيل في تفسير القرآن»، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) ٤: ١٢٦.

فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا) أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس،(وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا) وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين تتمة أربعة أيام؛ ولهذا قال تبارك وتعالى: (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ)، ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين، للإشعار باتصالهما باليومين الأولين ا[1]، وخلق السماوات في يومين وهما: يوم الخميس ويوم الجمعة [2].

يقول الإمام ابن عطية -رحمه الله-: «وقوله تعالى: (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ) يريد باليومين الأولين، وهذا كما تقول: بنيت جدار داري في يوم، وأكملت جميعها في يومين، أي بالأول»[3].

وقد وقع خلاف بين أهل العلم، في وجود علاقة بين قوله تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ) ، ومجيئها بعد قوله تعالى:(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ) ، حيث يرى الإمام البيضاوي -رحمه الله-أن قوله تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ) استئناف غير معطوف على قوله تعالى:(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ) ويعلل ذلك بقوله: «للفصل بما هو خارج عن الصلة»[4].

بينما يرى أكثر أهل العلم أن قوله تعالى: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ) معطوف على قوله تعالى:(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ) وتقديره: «خلق الأرض، وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر أقواتها في أربعة أيام»[5].

(١) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ٥:٦٧، وابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، «تفسير القرآن العظيم»، تحقيق: سامي بن سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)٧:١٦٦، ابن عطية، عبد الحق المحاربي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ه) ٢:٢١.

(٢) الأنصاري ، زكريا بن محمد، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، تحقيق: محمد الصابوني (ط١، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٤٠٣ه) ١:٥٠٤.

(٣) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ٦:٢١.

(٤) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ٥:٦٧.

(٥) المراغي، أحمد مصطفى، «تفسير المراغي» (ط١، مصر، مكتبة البابي، ١٣٦٥هـ) ٣٤:١١١، انظر: محمد بن عبد الله الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، تحقيق: د. محمد مصطفى (ط١، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢ه) ١:١١٠٧، محمد بن إبراهيم بن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، تحقيق: د. عبد الجواد خلف (ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٠ه) ١:٣٢٥، ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ١٢: ٢٤٣، الخطيب، عبد الكريم يونس، «التفسير القرآني للقرآن» (د. ط، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠١ه) ١٢:١٢٩٣.

ويبين الخطيب -رحمه الله-: «أن من هذه الأيام الأربعة، يومين كان فيهما خلق جرم الأرض، وأن ذكر اليومين في الآية للدلالة على أن الخلق غير الجعل»(١).

ويكشف الإمام ابن عاشور -رحمه الله-عن سر التعبير بفعل (جَعَلَ) غير فعل (خَلَقَ) فيقول: «لأن الجعل تكوين أخر حصل بعد خلق الأرض، وهو خلق أجزاء تتصل بها» (٢).

ويبقى السؤال الذي طرحه الخطيب الإسكافي -رحمه الله-وهو: ما الذي أوجب في العربية، أن يُضمّ اليومان اللذان أرسيت فيهما الجبال وأخرجت فيهما من الأرض المياه إلى اليومين اللذين وقع فيهما خلق الأرض؟ وهلا ذُكر يوما ذلك مفردين على اليومين المتقدمين ليزول الإشكال ولا يقع الاعتراض؟

الجواب: أن جملة :(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ) ، صلة الذي وجملة (وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ)، معطوف على قوله (لَتَكۡفُرُونَ) ، وجملة (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ)، عطف على قوله :(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ) وهذا تفريع في الإعراب، لا يصح في الكلام، ويصح استعماله للضرورة الشعرية، وهو قبيح فيها، فلا يجوز أن تقول أتاني الذي يقرأ، وقام ويكتب لأنه لا يحال بين صلة الموصول وما يعطف بأجنبي من الصلة. فلا يصح أن يقال:(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) ، فإذا كان هذا ممتنعاً، فلا بد إذاً من إضمار فعل يصح الكلام به ومعه، فيضمر:(خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ) بعد قوله (ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)، فيصير التقدير:(ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ) ليقع هذا كله في أربعة أيام ويسقط الاعتراض والسؤال وهذه معجزة وبرهان (٣).

وطرح الإمام الرازي -رحمه الله-سؤالاً أخراً، له علاقة بذات الموضوع، مما قد يورد عند البعض شبهة تحتاج إلى رد علمي مفحم وإجابة صريحة مقنعة، والسؤال الذي أورده -رحمه الله-أن الله -تبارك وتعالى-لما ذكر أنه خلق الأرض في يومين، لو ذكر أنه خلق الأصناف الثلاثة الباقية، في يومين أخرين، كان ذلك أسلم من تصور الغلط وأبعد من ورود الشبهة عند البعض، فلم ترك هذا التصريح، وذكر كلاماً مجملاً؟

(١) الخطيب، "التفسير القرآني للقرآن» ١٢:١٢٩٣.

(٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ١٢: ٢٤٣.

(٣) انظر: الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»،١: ١١٤٠، والكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢١.

أجاب الإمام الرازي -رحمه الله-عن هذا التساؤل بأن قوله تعالى: (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ) فيه فائدة أبلغ، مما لو قال خلقتُ هذه الأشياء الثلاثة في يومين، لأنه لو قال خلقتُ هذه الأشياء في يومين لم يكن لهذا الكلام فائدة، في كون هذين اليومين مستغرقين بتلك الأعمال، مثال ذلك لو قال قائل: أنجزت هذا العمل في يومين، مع أن اليومين لم يكونا مستغرقين بذلك العمل، أما لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء الثلاثة، ثم قال بعده: (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ) دل ذلك على أن هذه الأيام الأربعة صارت مستغرقة في تلك الأعمال، من غير زيادة ولا نقص[1].

ويتبين لنا مما سبق، أن مجموع الأيام التي خلق الله -تبارك وتعالى-فيهن السموات والأرض ستة أيام وليست ثمانية، فيزول بذلك ما ظاهره التعارض، وينتهي الإشكال.

الموضع الثاني: قوله تعالى (وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨) (فصلت:١٨)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة النمل (وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣) (النمل:٥٣).

محور الخلاف: التعبير في الآية الأولى بقوله:(وَنَجَّيۡنَا) بغير «ألف» من سورة فصلت، وفي الآية الثانية (وَأَنجَيۡنَا) بإثبات «الألف» في آية سورة النمل.

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي:

١- أن الفعل «نجينا» جاء على وزن فعل، بينما جاء الفعل «أنجينا» على وزن أفعل.

٢- أن الفعل «نجينا» يفيد التأني والتمهل في النتيجة، بينما الفعل «أنجينا» يفيد الإسراع في النتيجة.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال: من خلال الرجوع إلى المصادر المختلفة، والبحث فيها، لم أقف على من ذكر من أصحابها، سر التعبير بقوله:(وَنَجَّيۡنَا) خالية من «الألف» من سورة فصلت، وفي الآية الثانية بـ(وَأَنجَيۡنَا) بإثبات «الألف» من سورة النمل، إلا ما ذكره مجموعة من الباحثين المعاصرين، حيث ذكروا أن هناك فرقاً بين الفعلين «نجينا» و «أنجينا» في اللغة العربية، ويكمن ذلك الفرق في درجة السرعة والشدة في التخلص من الخطر؛ فالفعل «نجينا» جاء على وزن «فعل» بتشديد العين التي تشير إلى الشدة التي يقابلها الشخص قبل حلول

(١) انظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، «مفاتيح الغيب» (ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ) ٢٧:٥٤٥.

الفرج، ويفيد التأني والتريث في التخليص، والنجاة من الخطر، بينما جاء الفعل «أنجينا» على وزن «أفعل» والذي يدل على السرعة والإسراع في الإنجاء والتخلص من الخطر بشكل فوري وبخفة فائقة.

والمتأمل في القرآن الكريم عموماً، يجد أنه استعمال الفعل «نجى» للتمهل والتأني في الخلاص والنجاة، بينما استعمل الفعل «أنجى» للإسراع في النجاة والتخليص الفوري من الكرب والشدة، فالسياق القرآني له دورٌ كبيرٌ في تحديد نوع الكلمة المستعملة، وبالنظر إلى سياق سورة النمل في قصة إرسال نبي الله صالح-عليه السلام- إلى ثمود ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وانقسامهم بعد دعوته إياهم إلى فريقين: مؤمن، وكافر، وتطير الفريق الكافر بنبي الله صالح -عليه السلام- وبمن معه من المؤمنين، جاء بعد ذلك ذكر خبر التسعة رجال الذين كانوا يفسدون في مدينة الحجر بالكفر والمعاصي، وما تقاسموا عليه من عزمهم على قتل نبي الله صالح -عليه السلام-ومن كان معه من المؤمنين، والحلف لأولياء الدم على عدم حضورهم قتل نبي الله صالحاً وأصحابه، وإنهم لصادقون، ولما دبروا المكيدة الخفية لقتله تدخلت العناية الإلهية بسرعة كبيرة، وبشكل فوري، في تخليص نبي الله صالح -عليه السلام-ومن كان معه من المؤمنين، من ذلك الجرم العظيم وإنجائه من الكرب والشدة، لذلك جاء في سورة النمل بالفعل «وَأَنجَيْنَا» فقال سبحانه وتعالى:(وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾) (النمل:٥٣).

وفي المقابل نجد أن القصة نفسها، جاءت في سورة فصلت بسياق آخر مختلف عن سياق سورة النمل، حيث لم يذكر فيه خبر التسعة رجال، ولا تقاسمهم على قتل نبي الله صالح -عليه السلام- ومن معه، ولا الكيد والمكر الذي دبروه، بل جاءت بسياق (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾) ، لذلك جاء بالفعل «وَنَجَّيْنَا»في سورة فصلت فقال سبحانه وتعالى: (وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ) (فصلت:١٨)، الدال على التمهل والتأني في الخلاص والنجاة، فالسياق هنا يحدد نوع الكلمة المستعملة ويبين الفرق بين الفعلين «نجينا» و «أنجينا»[1].

بينما يرى الإمام النيسابوري-رحمه الله-أن السر في التعبير بقوله: (وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ) (فصلت:١٨)، في سورة فصلت، هو موافقة لما قبله وما بعده «وزينا» و «قيضنا»، وأما السر في

(١) المستغانمي، محمد صافي «في رحاب سورة»، (الموسوعة القرآنية، موقع تدارس القرآن)، والسامرائي، فاضل بن صالح ، «لمسات بيانية « (الموسوعة القرآنية، موقع تدارس القرآن).

التعبير بقوله: (وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ) (النمل:٥٣)، في سورة النمل، فهو موافقة لما بعده «فأنجيناه وأهله» و «أمطرنا» فكلها على وزن «أفعل»[١]، والرأي الأول أقرب.

الموضع الثالث: قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾)(فصلت:٢٠)، وقال في سورة الزخرف: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾)(الزخرف:٣٨).

محور الخلاف:

التعبير في الآية الأولى بقوله: (إِذَا مَا جَآءُوهَا)، بزيادة «ما» في سورة فصلت، وحذفها من آية سورة الزخرف وهي قوله: (إِذَا جَآءَنَا) ومن بقية السور التي وردت فيها.

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي: ١-أن قوله في الآية الأولى (إِذَا مَا جَآءُوهَا) يقتضي تأكيد معنى الشرط وهو المجيء، بخلاف قوله في الآية الثانية: (إِذَا جَآءَنَا) فإنه لا يقتضي ذلك.

٢-أن قوله: (إِذَا مَا جَآءُوهَا) تأتي عند إرادة تحقيق جزاء الشرط، بسبب بعده من معناه، بخلاف قوله: (إِذَا جَآءَنَا) فإنها تأتي إذا كان جزاء الشرط قريباً من معنى الشرط.

٣-أن قوله: (إِذَا مَا جَآءُوهَا) تأتي في حال الإطناب والإطالة واستيفاء ما تضمنته الآية، بخلاف قوله: (إِذَا جَآءَنَا) فإنها تأتي بناء على ما بنيت عليه الآية الكريمة، من الإيجاز والاختصار.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

أجاب الإمام الإسكافي -رحمه الله-عن هذا التساؤل وهو التعبير في الآية الأولى بقوله: (إِذَا مَا جَآءُوهَا)، بزيادة ما، وفي الآية الثانية بـ(إِذَا جَآءَنَا)، بدون ما، بقوله: «إنه إذا قصد توكيد معنى الشرط الذي تتضمنه «إذا» لقوة معنى الجزاء استعملت «ما» بعدها، فقوله -سبحانه وتعالى-: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ) (فصلت:٢٠)، شهادة السمع والبصر والجلود من المعاني القوية التي لا يقتضيها الشرط الذي هو المجيء، ألا ترى استنكارهم لها

(١) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد،» غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (ط١، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ) ٥:٣١٢.

حين قالوا لجلودهم: (لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا) ؟ فأجابوا بأن: (قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ) (١).

وطرح الإمام الزمخشري -رحمه الله-تساؤلاً عن «ما» في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) ماذا تكون؟ أو ما هي؟ ثم أجاب بقوله: «قلت للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن يخلو منها»(٢).

ووافق كل من الإمام أبو السعود، والبيضاوي، وابن عاشور، -رحمهم الله-على ما ذكره الإمام الزمخشري عن كلمة «ما» في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) حيث يقول الإمام أبو السعود -رحمه الله-: «ومَا مزيدةٌ لتأكيدِ اتصالِ الشهادةِ بالحضورِ: (شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) في الدُّنيا من فنونِ الكفرِ والمعاصِي، بأنْ يُنطقَها الله -تبارك تعالى- أو يظهرَ عليها آثارَ ما اقترفُوا بهَا»(٣).

وأرجع الإمام الأنصاري-رحمه الله-سبب إثبات كلمة «ما» في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) إلى أن الكلام في الآية الكريمة، عن أعداء الله -عز وجل-فيحتاج للتأكيد ب»ما» فناسب إثباتها هنا، دون بقية السور المختلفة من القرآن الكريم (٤).

بينما أرجع الإمام الغرناطي-رحمه الله-سبب زيادة كلمة «ما» في آية سورة فصلت (السجدة)، إلى الإطالة التي استدعتها الآية الكريمة، لقصد استيفاء ما تضمنت من أحوال أهل النار في امتحانهم، فزيدت الكلمة لما بنيت عليه الآية الكريمة؛ من الإطناب والاستيفاء، وحذفت من آية الزخرف وبقية سور القرآن لما بنيت عليه من الإيجاز والاختصار، فجاءت كلا الآيتين على ما يلائم ويناسب (٥).

وذكر الإمام الإسكافي -رحمه الله-سبب حذفها «بأنه لم يقصد في آية الزخرف وبقية سور القرآن توكيد معنى الشرط الذي تتضمنه «إذا» لقرب معنى الجزاء من الشرط، فقوله -تبارك وتعالى-: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ) (الزخرف:٣٨)، أي: قال ابن آدم لقرينه الذي معه من الجن، وقد اجتمعا في الحياة الدنيا على معصية الله، فاستحقا أن يشتركا في العذاب

(١) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، ١:١١٤٣، ابن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، ١:٣٢٨

(٢) الزمخشري، محمود بن عمرو، «الكشاف»، (ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)١:١٩٥.

(٣) أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ)٦:٥٦، البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» ٥:٥٩، وابن عاشور، «التحرير والتنوير» ٢٤:٣٦٦.

(٤) الأنصاري، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، ١:٥٠٥

(٥) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم «ملاك التأويل» (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ) ٢:٤٣٤.

يوم القيامة: يا ليتني لم أطعك، وكان بيني وبينك بُعد المشرقين، وهذا متوقع أن يكون منهما، ثم يتبرأ كل واحد من الآخر، فليس هنا في الجزاء ما يوجب قوة الشرط من المعنى الذي لا يتوقع ولا يستفاد إلا به ومنه، ولا في الشرط تنبه عليه، فمن الأحسن ترك التوكيد، حيث لا يدعو داع إلى الإتيان به»[1].

بينما علق الدكتور فاضل السامرائي، (في روائع البيان القرآني)، على آية سورة فصلت متعجباً من روعة ما جاء في الآية من بيان، فيقول: «وهذا من عجائب الأمور وغرائبها أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس يوم القيامة، ولذا استوجب استعمال «ما» للتوكيد، أما في آية سورة الزخرف فإن الأمر عادي لا يحتاج إلى التوكيد»[2]، فإذا جاء ابن آدم يوم القيامة، ومعه قرينه من الجن، تبرأ منه وتمنى أنه لم يطعه، وهذا متوقع أن يكون منهما فمن الأحسن ترك التوكيد.

الموضع الرابع: قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ (فصلت:٣٠)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة الأحقاف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾ (الأحقاف:١٣).

محور الخلاف:

أن الآية الأولى وردت في سورة فصلت، وبدأت بنفس العبارة التي بدأت بها الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ ثم تذكر بعدها أنه ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾، بينما الآية الثانية التي وردت في سورة الأحقاف بدأت بنفس العبارة التي بدأت بها الآية الأولى ثم تذكر أنهم ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

الجواب:

فيما يتعلق بهذا الاختلاف أذكر في البداية المعاني المترتبة عليه وهي كما يلي:

١- أن الآية الأولى ذكرت الواسطة وهم الملائكة، بخلاف الآية الثانية فإنها لم تذكر تلك الواسطة.

(١) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، ١:١١٤٣.

(٢) السامرائي، فاضل بن صالح «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، سلسلة محاضرات، المكتبة الشاملة، ١:٧١٩.

٢-أن الآية الأولى اشتملت على تفاصيل أكثر لما أعده الله لمن استقام على دينه، بخلاف الآية الثانية التي جاءت مجملة.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

من خلال الرجوع إلى المصادر المختلفة، والبحث فيها، لم أقف على من ذكر من أصحابها، الفَرق بين الآيتين بعد قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ) إلا ما ذكره بعض المفسرين، كالإمام الرازي، وابن عادل، والنيسابوري -رحمهم الله تعالى-، حيث ذكروا أن الفرق بين الموضعين، يكمن في أن آية سورة فصلت، نصت على ذكر الواسطة، وهم الملائكة الذين ينزلون، ويقولون للمؤمنين: لا تخافوا ولا تحزنوا، بينما في آية سورة الأحقاف، رفع تلك الواسطة من البين فلم يذكرها، وذكر فقط أن(لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) ، وإذا أردنا أن نجمع بين الموضعين، ونوفق بين الآيتين، ينتج لنا من مجموعهما، أن الملائكة الكرام يبلغون المؤمنين ويزفون إليهم هذه البشارة العظيمة، وأن المولى -تبارك وتعالى-يُسمعهم أيضاً هذه البشارة المباركة من غير واسطة تذكر(١).

بينما فرق الإمام الشنقيطي-رحمه الله- في تفسيره أضواء البيان، بين الموضعين بما تضمنته آية سورة فصلت التي أسهبت وفصلت في ذكر ما أعده المولى -تبارك وتعالى-في الآخرة للذين قالوا:(رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ) ، بخلاف آية سورة الأحقاف، التي أجملت القول في ذلك حيث اكتفى فيها بانتفاء الخوف والحزن عنهم، ووعدهم بالخلود في الجنة، وهذا يستلزم جميع ما ذكر في آية سورة فصلت (٢).

الموضع الخامس: قوله تعالى (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) (فصلت:٣٦)، وقال في سورة الأعراف (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأعراف:٢٠٠).

محور الخلاف:

التعبير في الآية الأولى بقوله: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ، بوجود التوكيد والتعريف فيها، وخلو آية سورة الأعراف من التعريف دون التوكيد وهي قوله: (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

(١) انظر: الرازي، «مفاتيح الغيب» ١٤:٢٨، والنيسابوري،» غرائب القرآن ورغائب الفرقان» ٦:١٢٠، ابن عادل، عمر بن علي «اللباب في علوم الكتاب» (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ)١٧:٣٩١.

(٢) الشنقيطي، محمد الأمين، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ) ٧:٢٩.

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي:

١-أن قوله في الآية الأولى: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ، جاءت بالتأكيد والتعريف؛ لأن الحديث السابق لها كان عن الأحياء المتصفون بالسمع والبصر، بخلاف قوله في الآية الثانية: (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإنها أتت بالتوكيد دون التعريف؛ لأن الحديث السابق لها كان عن الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر.

٢-أن قوله: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) أتت بالتأكيد والتعريف؛ لأن الأفعال التي سبقت الآية الكريمة من تحمل أذى الأخرين، ومقابلة الإساءة بالإحسان، تمثل شدة ومشقة على النفس الإنسانية، بخلاف قوله (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فإن الأفعال التي سبق الحديث عنها، فيها حث على أحسن الأخلاق، ولم يخص فيها نوع من المشاق، لذلك جاء اللفظ على الأصل.

٣-أن قوله: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) وقعت في فاصلة ما قبلها من الفواصل أسماء، فكان معنى الآية وكأنه قال: إنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم، بخلاف قوله تعالى: (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) فقد وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل أفعال جماعية، وأسماء مأخوذة من الأفعال، فكان معنى الآية: استعذ بالله إنه يسمع استعاذتك، ويعلم استجارتك.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

أجاب كل من الإمام الكرماني، والنيسابوري، والأنصاري، -رحمهم الله-، عن هذا الأشكال بقولهم: «إن قوله تعالى في سورة فصلت: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ، متصلة بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: (وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾) (فصلت:٣٥)، فكانت مؤكدة بمؤكدين: بالتكرار وبالنفي والإثبات فبالغ في قوله تعالى: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ، بزيادة ضمير الفصل «هو» وبتعريف الخبر؛ ليكون مناسباً لما تقدمه، بينما خلى هذا النوع من الاتصال في سورة الأعراف، فجاء على القياس المخبر عنه معرفة والخبر نكرة»[1].

وأرجع الإمام الغرناطي -رحمه الله- سبب التعبير في آية سورة فصلت بقوله: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) بوجود التوكيد والتعريف فيها، وخلو آية سورة الأعراف من ذلك في قوله: (إِنَّهُۥ سَمِيعٌ

(١) انظر: الكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢٢، والنيسابوري،» غرائب القرآن ورغائب الفرقان» ٦:٦٠، والأنصاري، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» ١:٥٠٦.

عَلِيمٌ) «إلى أن آية سورة فصلت قد سبقت بقوله تعالى: (وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) وقوله تعالى: (وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) وقوله تعالى: (أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ) فتبين من هذا أن المتسبب في إضلالهم إنما كانوا من عالم الإنس والجن وكلاهما-أي الإنس والجن-موصوفان بالسمع والبصر، وهما ممن ينسب إليهما علم، فلما تقدم ذكر من يمكنه أن يسمع ويبصر ويعلم ناسبه التعريف في الصفة؛ ليفيد بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى، ثم أكد ذلك بضمير الفصل المقتضي التخصيص.

أما بالنسبة لسورة الأعراف، فقد تقدم فيها قبل الآية ذكر وصف آلهتهم التي قاموا بنحتها من الحجارة والخشب وغيرهما، والتي وبخهم المولى -سبحانه وتعالى-على عبادتهم لها في قوله-عز وجل-: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) (الصافات:٩٥)، فوصفها المولى -تبارك وتعالى-بأنها لا تخلق شيئا (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا) ، (وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (الأعراف:١٩٨) ، فنفى عنهم عدة صفات، وهي القدرة والسمع والبصر وآلة المشي وآلة البطش، بقوله: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ) (الأعراف:١٩٥) ، ولم يتقدم هنا ما يوهم إلحاقها بشبه الأحياء، على أقل تقدير فكيف بما هو فوق ذلك؟ فمجيء الصفتين (سَمِيعٌ عَلِيمٌ) مجيئًا لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شيء من ذلك لغيره تعالى»[1].

بينما ذكر الإمام الخطيب الإسكافي -رحمه الله-سببين لمجيء قوله تعالى: (ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) معرفتين بالألف واللام ومؤكدتين بـ»هو» في آية سورة فصلت، ومنكرتين في آية سورة الأعراف في قوله تعالى: (سَمِيعٌ عَلِيمٌ) السبب الأول: يعود للفواصل التي وقعت قبل تلك الآيات، فآية سورة الأعراف وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل أفعال جماعية، وأسماء مأخوذة من الأفعال مثل قوله: (فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف:١٩٠)، وبعده قوله: { يُخْلَقُون} (الأعراف:١٩١)، وقوله: (يَنصُرُونَ) (الأعراف:١٩٢)، وقوله: (لَا يُبْصِرُونَ) (الأعراف:١٩٨)، وغيرها من تلك الأفعال، فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الأسماء المؤدية معنى الفعل، أي النكرة، فكان معنى الآية: استعذ بالله؛ إنه يسمع استعاذتك، ويعلم استجارتك.

(١) الغرناطي، «ملاك التأويل»١:٢٢٣.

وأما بالنسبة لآية سورة فصلت، وهي قوله تعالى: (ۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) فوقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل أسماء، وهي قوله: (وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت: ٣٤)، وقوله تعالى: (ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: ٣٥)، أي ليس ذو حظ بمعنى فعل، فكلها ليست من الأسماء التي يراد بها الأفعال، فأخرج قوله تعالى: (ۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) بعد الفواصل التي جاءت على سنن الأسماء بلفظ بعيد كل البعد عن اللفظ الذي يعطي معنى الفعل، فكأنه قال: إنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم، فليس المراد الإخبار عن الفعل، كما هو الحال في الآية الأولى [١].

وأما السبب الثاني الذي ذكره-رحمه الله-فإنه يعود إلى أن ما تقدم آية فصلت، يدعو إلى احتمال الأذى، ومقابلة الاساءة بالإحسان، حتى يصبح العدو (وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ، فإن في ذلك شدة على النفس الإنسانية، ودوافع النفس والشيطان إلى عدم الاحتمال وحب الانتقام قوية أيضاً، فلما كان ذلك كذلك، جاء النص القرآني بالتوكيد والتعريف؛ ليدفع بالإنسان المسلم بقوة وشدة إلى الاستعاذة بالله تعالى الذي (ۥٓ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ولا أحد غيره سبحانه مثله، أما في سورة الأعراف، فإن الأفعال التي سبق الحديث عنها، فإنها حث على أحسن الأخلاق، ولم يخص فيها نوع من المشاق، لذلك جاء اللفظ على أصله[٢].

وانفرد الإمام ابن جماعة -رحمه الله-عن كل من كتب في المتشابه اللفظي، بذكر سبب لم يتطرق إليه أحد منهم -على ما أعلم-حيث ذكر أن السبب في مجيء قوله (ۥٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) منكرتين في آية سورة الأعراف ومعرفتين بالألف واللام ومؤكدتين بـ»هو» في آية سورة فصلت في قوله (ۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ) ، مرتبط بوقت نزول الآية حيث نزلت آية سورة الأعراف قبل آية سورة فصلت فيقول -رحمه الله-:» أن آية الأعراف نزلت أولاً، وآية السجدة نزلت ثانياً، فحسن التعريف أي: هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان»[٣].

قلت: وعلى رأي الإمام ابن جماعة-رحمه الله-تكون الألف واللام للعهد، حيث إنه عهد إليهم في سورة الأعراف بأنه سميعٌ عليمٌ بالتنكير، ثم أعادها في سورة فصلت معرفة بأل التي تفيد العهد الذهني، وعليه تكون الآيتان متوجهتين للمؤمنين بالقرآن دون غيره.

(١) انظر: الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، ١ :٦٨٧.
(٢) انظر، المرجع السابق. ١:١١٤٥.
(٣) ابن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، ١:١٨٩.

الموضع السادس: قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) (فصلت: ٣٩)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة الحج (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾) (الحج: ٥).

محور الخلاف:

١- التعبير في الآية الأولى بقوله: (تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً) في سورة فصلت، وفي الآية الثانية بقوله: (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً) في آية سورة الحج.

٢- زيادة لفظة (وَأَنۢبَتَتْ) في آية سورة الحج في قوله: (ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ)، بينما خلت من تلك الزيادة آية سورة فصلت، واكتفى بقوله: (ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ) فقط.

الجواب:

أولاً: فيما يتعلق بالاختلاف الأول:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي:

- أن كلمة «خاشعة» في اللغة مأخوذة من الخشوع وتعني السكون والتذلل والضراعة، بينما كلمة «هامدة» فإنها مأخوذة من الهمود الذي يعني في اللغة السكون والسكوت والدروس والموت.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

من خلال الرجوع إلى المصادر المختلفة، والبحث فيها، لم أقف على من ذكر من أصحابها، سر التعبير بقوله: (تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً) في آية سورة فصلت، وبقوله: (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً) في آية سورة الحج إلا ما ذكره الإمام البقاعي -رحمه الله-في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وبعض المعاصرين من أهل اللغة والبلاغة منهم، الدكتور فاضل السامرائي، والدكتور محمد غزال، وغيرهما، حيث ذكروا أن السر في ذلك «يعود إلى السياق الذي وردت فيه الكلمتان، وعند التأمل في السياقين نجد أن السياق الذي وردت فيه كلمة «خاشعة» يغلب عليه جو العبادة والصلاة والتسبيح وهذا واضح جلي في قوله -تبارك وتعالى- (وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ) وقوله -عز وجل-(إِيَّاهُ

تَعۡبُدُونَ) وقوله: (يُسَبِّحُونَ لَهُۥ) وهذا الجو يناسبه أشد المناسبة كلمة «خاشعة»، لأن الخشوع من لوازم العبادة والصلاة والتسبيح، لذلك وصف هذه الأرض بأنها «خاشعة» أي: يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت، فهي أشبه ما تكون بالكائن الحي الذي انقطعت عنه موارد الحياة، فيضرع ويخشع، ويذل، فإذا عادت إليه تلك الموارد انتعش وتهلل، وفي المقابل نجد أن السياق الذي وردت فيه كلمة «هامدة» يغلب عليه جو البعث والإحياء والإخراج وهذا الجو يناسبه أشد المناسبة ويتسق معه كلمة «هامدة» لأن الهمود من لوازم الدثور والدروس وفقدان الحياة لذلك وصف هذه الأرض بأنها «هامدة» أي: ميتة يابسة قاحلة لا نبات فيها ثم إذا أنزل المولى -تبارك وتعالى-عليها الماء اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج [١].

يقول الشيخ العلامة سيد طنطاوي-رحمه الله-: «وعبر بقوله «خاشعة» في سورة فصلت؛ لأن السياق الذي وردت فيه الكلمة، كان الحديث فيه عن وجوب السجود لله-تبارك وتعالى-وحده دون سواه، والحديث عن السجود يناسبه الخشوع، بينما كان الحديث في سورة الحج عن البعث، وعن إمكانية تحققه ووقوعه، فناسب أن يعبر بكلمة «هامدة» التي تدل على فقد الحياة»[٢].

ثانياً: فيما يتعلق بالاختلاف الثاني:

وهو زيادة لفظة (وَأَنۢبَتَتۡ) في آية سورة الحج في قوله:(ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ)، بينما خلت من تلك الزيادة آية سورة فصلت واكتفى بقوله: (ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ) فقط.

والجواب عن ذلك -ما ذكرناه سابقاً-من أن الجو العام الذي وردت فيه آية سورة الحج هو جو مفعم بتصوير حركة حياة الإنسان وتنقله من طور إلى طور أخر، فتخلق الجنين وتكوينه من الرحم هو أشبه ما يكون بانبثاق النبتة من رحم الأرض»[٣]، بينما لم يزد كلمة (وَأَنۢبَتَتۡ) في سورة فصلت؛ لأن سياق آية سورة فصلت يغلب عليه جو العبادة والطاعة والتسبيح وبالتالي «فإنه لا محل لهذه الكلمة (وَأَنۢبَتَتۡ) في جو العبادة والسجود» [٤].

الموضع السابع: قوله تعالى (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن

(١) البقاعي، إبراهيم بن عمر، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٧هـ) ١٢:١٣، والسامرائي، د. فاضل بن صالح، «أسرار البيان في التعبير القرآني « (التشابه والاختلاف، موقع تدارس القرآن)، غزال، د. محمد بن سليم، «لمحات من الإعجاز والبيان في القرآن» (موقع الإعجاز والبيان)

(٢) طنطاوي، محمد سيد، «التفسير الوسيط» (ط١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٤٣١هـ) ١٢:٣٥٥.

(٣) غزال، «لمحات من الإعجاز والبيان في القرآن» (موقع الإعجاز والبيان)

(٤) السامرائي، «أسرار البيان في التعبير القرآني « (التشابه والاختلاف، موقع تدارس القرآن)

رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾) (فصلت:٤٥)، وقال في سورة الشورى (ۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾) (الشورى:١٤).

محور الخلاف

زيادة جملة (إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) في آية سورة الشورى، وخلوه منها في آية سورة فصلت.

الجواب:

فيما يتعلق بهذا الاختلاف: وهو زيادة جملة (إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) في آية سورة الشورى، وخلوه منها في آية سورة فصلت، أذكر قبل ذلك معنى الآية باختصار، وهو أن اليهود اختلفوا في كتابهم (التوراة)' وتفرقت أقوالهم فيه، واختلفت أقوال الكافرين في القرآن الكريم، وتفرقت فيه، ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب عنهم إلى يوم الجزاء والحساب، لقضي بينهم بإنزال العقاب بهم.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

اتفق كل من الإمام الإسكافي، والكرماني، والأنصاري -رحمهم الله-في الإجابة عن سبب زيادة قوله: (إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى) في آية سورة الشورى، وأنه يعود إلى ذكر بداية كفر القوم، في أول الآية الكريمة، وهو قوله -تبارك وتعالى-(وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ) فأخبر المولى -عز وجل-عن مبتدأ كفرهم، وهو انكارهم بعد مجي العلم، فحسن ذكره للنهاية التي أمهلوا إليها، ليكون ابتداء عقابهم، ليكون محدوداً من الطرفين [١]، بخلاف آية سورة فصلت التي خلت من تلك الزيادة.

بينما يرى الإمام الغرناطي -رحمه الله-أن سبب تلك الزيادة، هو تقدم ذكر الغاية والأجل قبلها في قوله: (وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ) (الشورى:٧)، فهذا هو الوقت الموعود والأجل المسمى، بخلاف آية سورة فصلت، فلم يتقدم فيها ذكر تلك الغاية وهذا الأجل [٢].

(١) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»،١١٥٢:١، والكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ٢٢٢:١، والأنصاري، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» ٥٠٧:١.

(٢) الغرناطي، «ملاك التأويل»٤٣٥:٢.

ونلاحظ -مما سبق-اختلاف علماء المتشابه اللفظي، في الآية الكريمة التي تقدم فيها ذكر الأجل والغاية، واتفاقهم في سبب الزيادة، وهو تقدم ذكر الغاية والأجل في الآيتين الكريمتين.

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت: ٤٦)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة الجاثية ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الجاثية: ١٥).

محور الخلاف:

أن الآية الأولى وردت في سورة فصلت، وبدأت بنفس العبارة التي بدأت بها الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ثم ختمت بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بينما الآية الثانية، التي وردت في سورة الجاثية، بدأت بنفس العبارة التي بدأت بها الآية الأولى ثم ختمت بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فاتفقت الآيتان في المطلع واختلفتا في الخاتمة.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

بعد التحري الدقيق، والبحث المستمر في الكتب المتنوعة، والمصادر المختلفة، والرجوع إلى العديد من البحوث التي ألفت في ختم الآيات القرآنية، لم أقف على من ذكر من أصحابها، السر في اتحاد الآيتين في مطلعهما في قوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ واختلافهما في الخاتمة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ في آية سورة فصلت وبقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، في آية سورة الجاثية إلا ما ذكره بعض المفسرين، عرضًا وبعض المعاصرين من أهل اللغة والبلاغة، حيث أجاب بعضهم عن هذا الإشكال بقولهم: «إن آية سورة فصلت التي ختمت بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ هي تذييل لسابقتها[1]، ولمجموعة من المعاني السابقة، حيث إنه لما تقرر أن المطيع ناج، وأن العاصي هالك، جاءت النتيجة حتمية من غير شك أو تردد ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦)، كائناً من كان، من ذكر أو أنثى»[2] بينما ذكر الإمام ابن عطية والإمام أبو السعود -رحمهما الله-أن قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ «اعتراض تذييلي مقرر، لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله، أو إثابة الغير بعمله، وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير» ٢٤: ٣١٨.

(٢) البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» ١٧: ٢٠٩.

بإساءة غيره، منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عن المولى -عز وجل-»[1]. وأما بالنسبة لأية سورة الجاثية التي بدأت بقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ ثم ختمت بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فقد اختلفت أراء العلماء في توجيه هذه الآية، على عدة أقوال، فمنهم من قال: «إنها آية مستأنفة لبيان الجزاء المذكور في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (فصلت: ١٤)[2]، ومنهم من قال: إنها آية جاءت لتأكيد ذلك الجزاء المذكور في الآية السابقة لها، وفي ذلك يقول الإمام ابن عطية -رحمه الله-عند تفسيره لهذه الآية: «لما تقرر في الآية السابقة أن المولى-تبارك وتعالى-يجزي أقواماً بما كسبوا ويعاقبهم بجرمهم، أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أي: إلى قضائه وحكمه»[3]، ومن العلماء من ذكر توجيهاً ثالثاً لهذه الآية فقال: «إنها جاءت تعقيباً على الآيات التي قبلها، وما حملته تلك الآيات من دعوة المشركين إلى الإيمان، ودعوة المؤمنين للرفق بالمشركين والتغاضي عن سفههم والتجاوز عن جهلهم، فمن استجاب لشرع الله وأمره، وعمل صالحاً فلنفسه الثواب والأجر على عمله، ومن صد عن الله وأعرض عن شرعه، وسلك طريق الباطل واتبع هواه، فسيجد جزاء إعراضه وكفره»[4]، فهناك يومٌ عظيمٌ يرجع الناس فيه لربهم-عز وجل-، فيحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم خيراً على الخير، وشراً على الشر وصدق -المولى الكريم- إذا يقول في كتابه العزيز: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

ويرى الباحث: أنه ليس هناك تعارض أو اختلاف بين هذه الأوجه الثلاثة، ومن الممكن الجمع بين تلك الأوجه بأن نقول: إنها جاءت لبيان وتأكيد الجزاء المذكور في الآية السابقة لها وتعقيباً عليها. والله أعلم.

الموضع التاسع: قوله تعالى ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ (فصلت: ٤٩)، وقال -سبحانه وتعالى- في السورة نفسها ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ

(١) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ٥: ٨٣، وأبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ٨: ١٧.

(٢) سليمان، د. حسن، «نور يضيء الدروب» (برنامج في إذاعة القرآن الكريم المصرية)

(٣) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ٥: ٨٣.

(٤) الخطيب، عبد الكريم يونس «التفسير القرآني للقرآن»، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٣٠هـ) ١٣: ٢٣٥.

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾) (فصلت: ٥١).

محور الخلاف:

التعبير في الآية الأولى بقوله: (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) وفي الآية الثانية بقوله: (فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ). فاختلفت الفاصلة، والموضوع واحد.

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي:

١- أن قوله في الآية الأولى (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) ، المقصود به أهل الشرك، بخلاف قوله في الآية الثانية: (فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ)، فإن المقصود به أهل الإيمان.

٢- أن قوله (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) ، قنوط من الأصنام، وأما قوله في الآية الأخرى: (فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ)، دعَاءٌ لله.

٣- أن قوله (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) ، قنوط بالقلب، وأما قوله: (فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ)، دعَاءٌ باللسان.

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

أجاب الإمام الكرماني، والإمام الأنصاري-رحمهما الله-عن سبب اختلاف الفاصلة بين قوله (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) وقوله (فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ) حيث قالا: «لا منافاة بين قوله: (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) ، وبين قوله: (وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ) لأن معناه قنوط من الصنم، دَعاءٌ الله، أو قنوطٌ بالقلب دَعاءٌ باللسان، أو الأول في قوم، والثاني في قوم آخرين، أو الدعاء مذكور في الآيتين ودعاء عريض في الثاني»[1].

نلاحظ أن كلام الإمامين السابق الذكر، بحاجة الى توضيح وبيان، فهو يحتوي على ثلاثة أجوبة:

الأول: أنه لا منافاة بينهما.

الثاني: أن الأول في قوم والثاني في قوم آخرين.

الثالث: أن الدعاء مذكور في الآيتين، إلا أنه جاء في الآية الثاني وصفه بأنه دعاء عريض.

(١) الكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢٣، والأنصاري، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» ١:٥٠٧.

وبعد البحث في كتب المتشابه اللفظي وكتب التفسير المختلفة، لم أجد من أصحابها من أيدهما بهذه التعليلات، أو ناصر رأيهما، باستثناء ما جاء في الجواب الثاني، وكان ذلك من الإمام ابن عاشور ـ رحمه الله تعالى ــ على النحو الآتي:

١- في الآية الأولى ذكر (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) ؛ لأن المقصود أهل الشرك، وهم إنما ينصرفون إلى أصنامهم.

٢- في الآية الثانية ذكر(فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ)؛ لأن المقصود أهل الإيمان، وهم إنما ينصرفون إلى ربهم.

وفيما يلي أنقل نص كلام الإمام ابن عاشور- رحمه الله-في التفريق بين الفاصلتين، في الآيتين السابقتين، حيث يقول:» ولم يذكر هنا يعني في قوله (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) أنه ذو دعاء لله -تبارك وتعالى-كما ذكر بعدها في قوله: (وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ) (فصلت:٥١)، لأن المقصود أهل الشرك وهم إنما ينصرفون إلى أصنامهم»(١).

ثم قال -رحمه الله-عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾) (فصلت:٥١)، «وهذا وصف وتذكير بضرب آخر من طغيان النفس الإنسانية، غير خاص بأهل الشرك، بل هو منبث في جميع الناس على تفاوت بينهم، إلا من عصم الله، وهو توصيف لنزق النفس الإنساني، التي إن أصابها سراء تكبرت، وطغت ونست شكر المنعم، وإن أصابها ضراء تسخطت وجزعت وتضرعت إلى ربها، بأن يكشف الضر عنها سريعاً»(٢).

الموضع العاشر: قوله تعالى (وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾) (فصلت:٥٠)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة هود (وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾) (هود:١٠).

محور الخلاف: التعبير في الآية الأولى بقوله: (وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ)، بزيادة «منا» و «من» في سورة فصلت، وحذفها من آية سورة هود وهي قوله: (وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ) .

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير» ٢٥:١٤.

(٢) المرجع السابق: ٢٥:١٤.

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي: أ ـ فيما يتعلق بزيادة «منا» فلقد أولها أهل العلم بما يلي:

١ـ إن قوله «منا»، جاءت في آية سورة فصلت، لحاجة الكلام إلى ذكرها، وحذفت من آية سورة هود -عليه السلام-لسابق ذكرها في الآية الكريمة قبلها، وهو قوله -سبحانه وتعالى-:(وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾) (فصلت:٩) [١].

٢-بينما ذكر الإمام الغرناطي -رحمه الله-سببًا آخر، خلاف ما ذُكر حيث قال: « إنه لما تقدم ذكر الشركاء في آية سابقة من سورة فصلت وهي قوله -تبارك وتعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾) (فصلت:٤٧)، قال بعد ذلك (وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ)، فنبه المولى -تبارك وتعالى-بقوله «منا» على أنه لا شريك له -سبحانه وتعالى-، وأنه لا رازق ولا معطي ولا منعم سواه، وأنه لا يأتي العبد شيء من غيره -تبارك وتعالى-. ولما لم يتقدم في سورة هود ذكر لما سبق -الشركاء -لم يورد فيها التنبيه بـ»منا»[٢].

ب ـ أما ما يتعلق بزيادة حرف الجر «من» فلقد أولها أهل العلم بما يلي:

١- اتفق كل من الإمامين الإسكافي والكرماني -رحمهما الله-في الإجابة عن سبب زيادة «من» في قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ) (فصلت:٥٠)، حيث ذكرا: « أنه لما حد الرحمة والجهة الواقعة منها، حدّ الطرف الذي بعدها؛ ليتشاكل المقترنان في التحديد، وأما في آية سورة هود فإنه لما أهمل الأول أهمل الثاني»[٣].

٢-بينما ذكر الإمام الغرناطي -رحمه الله-سببًا أخر، وهو أن زيادة «من» في قوله (وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ) «مناسب لإطناب هذا الغرض في هذه السورة، فيناسبه الزيادة، ولإيجاز هذا الغرض في سورة هود فيناسبه حذف «من» فأتى كل على ما يلائم ويناسب»[٤].

---

(١) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»،١:١١٥٤، والكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢٣، وابن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، ١:٣٢٨.

(٢) الغرناطي، «ملاك التأويل»٢:٤٣٦.

(٣) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»،١:١١٥٤، والكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢٣.

(٤) الغرناطي، «ملاك التأويل»٢:٤٣٧.

الموضع الحادي عشر: قوله تعالى (قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾) (فصلت:٥٢)، وقال -سبحانه وتعالى- في سورة الأحقاف (قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾) (الأحقاف:١٠).

محور الخلاف:

الاختلاف في حرف العطف، حيث عبر في الآية الأولى بحرف العطف «ثم» في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) وفي الآية الثانية بحرف العطف «و» في قوله: (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) .

الجواب:

قبل الإجابة عن هذا الإشكال، أود أن أذكر باختصار، المعاني التي ترتب عليها هذا الاختلاف، وهي:

١-إن قوله (ثُمَّ) جاءت في آية سورة فصلت للترتيب الزماني واقتضاء المهلة فيه، بخلاف (الواو) فإنها لا تفيد ذلك.

٢-جاءت (ثُمَّ) في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) للاستبعاد من الكفر، أي أن التأخر عن الإيمان والتخلف عنه، بعد معرفة كونه من عند الله، مستبعد عند أهل العقل والحكمة، بخلاف (الواو) التي في قوله تعالى (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) فهي «واو» العطف التي بمعنى الجمع، فيكون المعنى: أي: إن اجتمع كون ما جئتكم به من عند الله وكفرتم به وشهادة شاهد بني إسرائيل على مثله وإيمانه ألستم بهذا الكفر الذي حصل منك من أظلم الناس.

٣-أن قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) هو آخر ما أخبر به في القصة وخاتمة أمره معهم في الدعوة، بخلاف قوله (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) فلم يجعلها كذلك، بل عطف عليها عدة أفعال بعدها، (وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ) .

أقوال العلماء في الإجابة عن هذا الإشكال:

اتفق كل من الإمام الإسكافي، والكرماني، والأنصاري -رحمهم الله-في الإجابة عن سبب مجيء (ثُمَّ) في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) حيث قالوا: «وحَسُنَ دخول «ثم» الدالة على الترتيب في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) ؛ لأن معناها في هذه الآية، كان عاقبة أمركم بعد الإمهال، للنظر والتدبر، الكفر، بخلاف التعبير ب»الواو» في قوله (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) في الأحقاف فلدلالتها على مطلق الجمع، حيث عطف عليها عدة أفعال بعدها وهي قوله -عز وجل-(وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ

فَغَامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ) فلم يكن عاقبة أمرهم فكان من مواضع «الواو»[١].

بينما يرى الإمام ابن جماعة-رحمه الله-أن السر في التعبير بـ«ثم» في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) ؛ لأنها جاءت هنا للاستبعاد من الكفر، أي: أن التأخر عن الإيمان والتخلف عنه بعد معرفة كونه من عند الله مستبعد عند أهل العقل والحكمة، ولهذا قال بعدها (مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ) (فصلت:٥٢)، بخلاف التعبير بـ«الواو» في قوله: (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) في الأحقاف فهي «واو» العطف الدالة على مطلق الجمع [٢].

وذكر الإمام الغرناطي -رحمه الله-أن (ثُمَّ) «تأتي للترتيب الزماني واقتضاء المهلة فيه، ثم ذكر -بعد ذلك -سبب مجيئها في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) فقال: لتحرز عظيم اجترامهم، وشنيع مرتكبه، فأتت على ما يجب، أما «الواو» فجاءت في قوله (وَكَفَرۡتُم بِهِۦ) عندما قصد زيادة شهادة عليهم بتصديق من تقرر عنده علم الكتاب المنزل قبل كتابنا، فجاء بـ«الواو» ولم يأتي بـ(ثُمَّ) لاقتضائها مهلة لم تقصد هنا»[٣].

ويقول الإمام ابن عاشور والإمام الألوسي-رحمهما الله-: «و(ثُمَّ) في قوله (ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ) للتراخي الرتبي؛ لأن الكفر بما هو من عند الله أمره أخطر من كون القرآن من عند الله»[٤]

فهذه أحد عشر موضعاً، من مواضع المتشابه اللفظي في سورة فصلت، قمت بدراستها – بعون الله وتوفيقه-دراسة أحسبها وافية، وبتوجيهها توجيهًا مستمدًا من كتب أهل العلم والمعرفة، هذا ما تيسر لي بحثه، وأسأل الله -عز وجل- أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»،١:١١٥٧، والكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» ١:٢٢٣، والأنصاري، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن» ١:٥٠٧.

(٢) ابن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، ١:٣٢٨.

(٣) الغرناطي، «ملاك التأويل»٢:٤٣٨.

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير» ٢٥:٩٠.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج، والتوصيات:

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على النبي العدنان، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وبعد، في نهاية هذا البحث أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها وهي كما يلي:

١-سورة فصلت من السور التي اشتملت على العديد من آيات المتشابه اللفظي، فقد وقفت من خلال

هذا البحث، على أحد عشر موضعاً، أشار لبعض منها طائفة من علماء المتشابه اللفظي، أو ممن كتب في علم التفسير، وأشار للبعض الآخر، طائفة أخرى ممن كتبوا في العلوم الأخرى كعلم اللغة والبلاغة القرآنية وغيرهما.

٢-توصل الباحث -بعد النظر في عدة تعريفات للمتشابه اللفظي-إلى تعريف جامع مانع له: وهو تلك الآيات القرآنية المتماثلة في موضوع واحد، لفظاً أو مع اختلاف في نظمها.

٣-من خلال البحث والتنقيب في المصادر المختلفة، لم أجد مصدراً من تلك المصادر تحدثت أو ذكرت سبباً خاصاً لنزول سورة فصلت، والذي توصلت إليه ويعضده الدليل أن هذه السورة -سورة فصلت-نزلت آياتها متفرقة، وتعددت أسباب النزول تبعاً للآية، وأنه لم يثبت من تلك الأسباب المختلفة إلا سببان لآيتين من آيات السورة الكريمة.

٤-أن للسياق القرآني دوراً بارزاً ومهماً، في فهم الآيات المتشابهة في اللفظ، وفي معرفة الفروق بين تلك الآيات، للوصول إلى توجيه سليم لها.

٧-أنه قد تعددت آراء العلماء واختلفت، في سبب زيادة كلمة «ما» في قوله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا) فمنهم من قال: إنها أتت لتوكيد معنى الشرط، ومنهم من قال: إنها أتت لإرادة تحقيق جزاء الشرط، ومنهم من قال: إنها زيدت لما بنيت عليه الآية الكريمة من الإطناب والاستيفاء، وقيل: غير ذلك.

٨-كذلك اختلفت أراء العلماء، وتعددت أقوالهم، في توجيه قوله تعالى (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾) (فصلت: ١٤) على عدة أقوال، فمنهم

من قال: «إنها آية مستأنفة لبيان الجزاء المذكور في الآية التي قبلها، ومنهم من قال: إنها آية جاءت لتأكيد ذلك الجزاء المذكور في الآية السابقة لها، ومنهم من قال: إنها جاءت تعقيباً على الآيات التي قبلها، وما حملته تلك الآيات من دعوة المشركين إلى الإيمان، ودعوة المؤمنين للرفق بالمشركين.

٩-الوقوف على العديد من آيات المتشابه اللفظي في السورة -موضع الدراسة-التي لم يشر إليها أو ترك الحديث عنها أئمة التفسير وعلماء المتشابه اللفظي -بحسب ما وقفت عليه-بينما ذكرها بعض أصحاب كتب البلاغة القرآنية وغيرها، مثلاً: سر التعبير بقوله:(وَنَجَّيْنَا) خالية من «الألف» من سورة فصلت، وفي الآية الثانية بـ(وَأَنجَيْنَا) بإثبات «الألف» من سورة النمل، وسر التعبير بقوله:(تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً) في آية سورة فصلت، وبقوله: (وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً) في آية سورة الحج، وغيرهما من المواضع.

أهم التوصيات:

١-استمرار الباحثين والمهتمين في تفسير القرآن وعلومه، بمواصلة مسيرة البحث في المتشابه اللفظي في سور القرآن الكريم التي لم تبحث.

٢-تحصين طلبة الجامعات والمدارس الثانوية من كثير من الأفكار المشككة في بعض الآيات المتشابهة في اللفظ، ويكون ذلك بتضمين موضوع المتشابه اللفظي، في المناهج الدراسية.

فهرس المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

- ابن عاشور، محمد الطاهر "التحرير والتنوير". (الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م).

- البقاعي، إبراهيم بن عمر ، «مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور». (ط١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ).

-ابن عادل، عمر بن علي «اللباب في علوم الكتاب» (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ).

-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

-ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، «تفسير القرآن العظيم»، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ)

-ابن منظور، محمد بن مكرم بن على «لسان العرب»، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).

-أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، «الكليات»، تحقيق: عدنان درويش (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ)

-أبو السعود، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠١هـ)

-الأنصاري، زكريا بن محمد، «فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن»، تحقيق: محمد الصابوني (ط١، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ).

-البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء،» معالم التنزيل في تفسير القرآن»، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

-البقاعي، إبراهيم بن عمر، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (ط١، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٧هـ)

-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، تحقيق محمد المرعشلي، (ط١، بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، ١٤١٨هـ).

-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، "شعب الإيمان". تحقيق: د. عبد العلي حامد، (ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ)

-البيهقي، أحمد بن الحسين، "دلائل النبوة". تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ)

-الحميدان، عصام بن عبد المحسن، «الصحيح من أسباب النزول» (ط٢، الدمام، دار الإصلاح، ١٤١٢هـ).

-الخطيب، عبد الكريم يونس «التفسير القرآني للقرآن»، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٣٠هـ) ١٣: ٢٣٥.

-الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، «مفاتيح الغيب» (ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ).

-الزحيلي، د. وهبه مصطفى، «التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج». (ط٢، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ).

-الزمخشري، محمود بن عمرو، «الكشاف»، (ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

-السامرائي، د. فاضل بن صالح، «أسرار البيان في التعبير القرآني « (التشابه والاختلاف، موقع تدارس القرآن)

-السامرائي، فاضل بن صالح «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، سلسلة محاضرات، المكتبة الشاملة.

-الشنقيطي، محمد الأمين، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ).

-الغرناطي، أحمد بن إبراهيم «ملاك التأويل» (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

-المراغي، أحمد مصطفى، «تفسير المراغي» (ط١، مصر، مكتبة البابي، ١٣٦٥هـ).

-المستغانمي، محمد صافي «في رحاب سورة»، (الموسوعة القرآنية، موقع تدارس القرآن)

-النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد،» غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (ط١، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ).

-الوادعي، مقبل بن هادي، «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ط٤، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ).

-سليمان، د. حسن، «نور يضيء الدروب» (برنامج في إذاعة القرآن الكريم المصرية).
-طنطاوي، محمد سيد، «التفسير الوسيط» (ط١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٤٣١هـ).
-غزال، د. محمد بن سليم، «لمحات من الإعجاز والبيان في القرآن» (موقع الإعجاز والبيان).
-محمد بن إبراهيم بن جماعة، «كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، تحقيق: د. عبد الجواد خلف (ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٠هـ).
-محمد بن أبي بكر الرازي، «مختار الصحاح»، تحقيق: يوسف محمد (ط٥، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ).
-محمد بن عبد الله الاسكافي، «درة التنزيل وغرة التأويل»، تحقيق: د. محمد مصطفى (ط١، مكة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ).
-محمد بن عبد الله الزركشي، «البرهان في علوم القرآن»، تحقيق: محمد إبراهيم (ط١، دمشق، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩هـ).
-محمود بن حمزة الكرماني، «البرهان في توجيه متشابه القرآن» تحقيق: عبد القادر عطا (ط١، دار الفضيلة، ١٤٠٩هـ).
-محمود بن عمرو الزمخشري، «أساس البلاغة» تحقيق: محمد باسل (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).